المجلد: 19 العدد:02/ سبتمبر2024
ص: 219 - 236
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

لغة العتبات ولغة المتن في الخطاب النقدي

الناقد سعيد السريحي أنموذجا

The language of thresholds and the language of the body in critical discourse

Critic Saeed Al-Suraihi' model

أحمد ناصر بن أحمد الرازي [1]*

جامعة الملك خالد بأبها –المملكة العربية السعودية

Alrazhi1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/04/27	تاريخ القبول:2024/08/03	تاريخ النشر: 2024/09/30

****

ملخص:

تتضمن العتبات النصية مختلف الأساليب والتقنيات التي يستخدمها الكاتب لإيصال فكرته بشكل فعّال؛ وهي في الوقت نفسه آلية من آليات تحليل الخطاب؛ إذ يأخذ بها النقاد في تحليل وتقييم النصوص بمختلف أشكالها، باعتبارها -العتبات النصية- تنشأ من الأساليب التي يبنى عليها النص مثل الأساليب الجمالية، والمنهجية، والسياق الثقافي، والتأويل الفني، ويعول عليها في تحليل الخطاب الثقافي بكشف الطرق التي يتم من خلالها بناء الرؤى وتشكيل الوعي الثقافي، ويعد الناقد السعودي سعيد السريحي أحد أبرز الشخصيات الأدبية والنقدية في السعودية، والذي قدّم العديد من الإسهامات الهامة في مجال النقد الثقافي؛ إذ يركز في نقده باستخدام العتبات النصية لفهم النصوص وتحليلها بعمق، مما يساعده على استنتاج أهم الرسائل والأفكار التي يحملها النص، وكذلك تقييمها بناءً على معايير محددة، ويدرس هيكلية النص وتنظيمه، ويحلل كيفية ترتيب الأفكار والأحداث داخل النص وتأثير ذلك على فهمه وتأثيره على القارئ.

وعليه سنقف على مشروع السريحي وممارساته النقدية الكاشفة عن مدى وعيه بأهمية العتبات النصية المستخدمة في النص وتحليلها، وكيفية تأثيرها على المعنى وعلى المبنى وتأثيرها على للقارئ.

الكلمات المفتاحية: (نقد النقد; العتبات ; المتون، السريحي;سعيد السريحي ; الأركيولوجيا ; الجينالوجيا).

***ABSTRACT* :**

Textual thresholds include the various methods and techniques that the writer uses to communicate his idea effectively. At the same time, it is a mechanism of discourse analysis. Critics take it in analyzing and evaluating texts in their various forms, as they are - textual thresholds - that arise from the methods upon which the text is built, such as aesthetic methods, methodology, cultural context, and artistic interpretation. They are relied upon in analyzing cultural discourse by

* أحمد ناصر بن أحمد الرازي.

revealing the ways through which visions are built and shaped. Cultural awareness. The Saudi critic Saeed Al-Sarihi is considered one of the most prominent literary and critical figures in Saudi Arabia, and he has made many important contributions in the field of cultural criticism. In his criticism, he focuses on using textual thresholds to understand and analyze texts in depth, which helps him deduce the most important messages and ideas that the text carries, as well as evaluate them based on specific criteria. He studies the structure and organization of the text, and analyzes how ideas and events are arranged within the text and the impact of this on its understanding and impact on the reader.

Therefore, we will look at Al-Sarihi's project and his critical practices that reveal the extent of his awareness of the importance of the textual thresholds used in the text and their analysis, and how they affect the meaning, the structure, and their impact on the reader..

Keywords: Critique of criticism; thresholds; texts; Al-Surihi; Saeed Al-Surihi; archaeology; genealogy

1. مقدمة:

شهدت الدراسات النقدية طفرة لم يسبق أن شهدتها من قبل ، فتتالت المدارس النقدية ، وربما بنت إحداها مجدها على أنقاض سابقتها ، وحين جاءت البنيوية أفادت المدارس بعدها إلى أن جاءت الدراسات السيميائية ، التي ولّدت دراسة العتبات ، وكان للناقد الفرنسي جيرار جينيت الدور البارز في هذا التوجه ، حيث أعلى من شأن العتبات النصية وبيّن أهميتها البالغة ، وأثرها في كشف المضامين المندرجة تحتها ، مبينا أنواعها ومدلولاتها ، فالعتبة غالبا تكون آخر ما يكتب بالنسبة للمؤلف ، كونها تمثل عصارة جهده ، وتكون أول ما يقرأ بالنسبة للقارئ لأنها تمثل بوابة الدخول للعمل فإما أن تستغويه ، وإما أن تصرفه ، وتمثل العتبات المدخل الفني للمؤلف التي يستطيع من خلالها الوصول إلى أن تكون عتبته تلك نصا موازيا كما اعتبره بعض النقاد، بل وأطلقوا عليها مسمى النص الموازي ، أو الموازي النصي.

وتتمثل إشكالية هذا البحث في كيفية توظيف الناقد سعيد السريحي هذه العتبات في عدد من كتبه التي اشتغل فيها على تحليل الخطاب الثقافي، وإلى أي مدى استطاع ربط عتبات دراساته مع محتويات متون مدوناته ، وما مدى تمكنه من تطبيق مدلول تلك العتبات في نصوصه النقدية ، ويندرج هذا البحث ضمن ما يسمى بـ"نقد النقد"

تمهيد

استعملت لفظة العتبات مجازا للدلالة على كل ما يحيط النص من عنوان، و غلاف، وإهداء، و كلمه ناشر ، وحوارات مع الكاتب ، ويقابلها في الإنجليزية مصطلح (paratexte) بمعنى (النص الموازي) ، وفي الفرنسية(Seuils) بمعنى (عتبات)، وإذا كان العنوان هو المحدد الرئيس لهوية الكتاب، وهو أول عتباته، وأول ما تقع عليه عين القارئ ، فيغريه بالاطلاع عليه ، لذلك كان العنوان يمثل العمل الدعائي الأولي، والمباشر للكتاب؛ لأنه "يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه ، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد انتاج نفسه ، وهو بمثابة الرأس للجسد ، والأساس الذي تبنى عليه . غيرأنه إما أن يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه ، وإما أن يكون قصيرًا ، وحينئذ ، فإنه لابد من قرائن فوق لغوية توحي بما يتبعه" (1) قد

يأتي العنوان واضحا جليا يكشف مضمون الكتاب ، وقد يأتي مشوبا ببعض الغموض الذي يلزم معه بعض التأويل لفهمه.

لذلك تعدّ "العتبات مهمة في مجال تحليل النص الأدبي؛ لأنها تسعف الباحث، أو الناقد، أو المحلل، في فهم النص الأدبي وتفسيره وتأويله، أو تفكيكه ،وتركيبه. وقد ظلت العتبات ميدانا خصبا للدراسات الشعرية في الفترة اليونانية، أو الفترة العربية، أو الفترة المعاصرة، ولاسيما مع تطور الشعرية الفرنسية، والبنيوية اللسانية. ويعد جيرار جنيت (Gérard genette) من أهم الدارسين الذين عمقوا شعرية العتبات في كثير من مؤلفاته، وخاصة في كتابه (العتبات/ Seuils)."[2] فالبعض يطلق على العتبات عموما مسمى النص الموازي، " وتعتمد العتبات على "التقاطع مع النص لغويا ، ودلاليا ، وتشكل وإياه كتابا لا نصا فحسب ، وعلى الرغم من وقوعها على تخوم النص إلا أن التقاطع حاصل بينهما لا محالة ، إما بصورة مباشرة ، أو على صيغة تأويلية"[3] و العناوين"عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص. كما تؤدي وظيفة تناصية، ولاسيما إذا كان العنوان يحيل على نص خارجي، يتناسل معه ويتلاقح شكلا وفكرا" [4] وسيكون تناول لغة العتبات ولغة المتن وتطبيقها على خمسة من كتب السريحي على النحو الآتي:

أولا: عتبات الدراسة

تعتبر العتبات من النص المحيط [5]، وسيتم تناول ثلاثة من العناوين المطروحة في الجدول التالي بحسب تواريخ صدورها

م	عنوان الكتاب	العنوان الشارح	تاريخ الصدور
.1	حجاب العادة	أركيولوجيا الكرم من الخطاب إلى التجربة	1996م
.2	غواية الاسم	سيرة القهوة وخطاب التحريم	201 م
.3	إيديولوجيا الصحراء	آفاق التجديد وسؤال الهوية	2015م

ثانيا: المدونات

أ/ الكتاب الأول (حجاب العادة)

والعنوان كما يبدو لا يمثل أي نوع من الدعاية لكتابة فما إن يقرؤه من لا يعرف السريحي حتى يشيح بوجهة جانبا ، لكنه لا يخلو من أن تكون عيناه قد لمحتا شيئا ما يعيد نظره إلى عنوان الكتاب ، لا العنوان

الأصلي، وإنما العنوان الشارح ، الذي يجلو بعض ما غمض عليه ولو قليلا، حين يعيد النظر ليقرأ العنوان الشارح التالي (أركيولوجيا الكرم من الخطاب إلى التجربة) وهنا تبدأ أولى لوحات الدعاية والتسويق لهذا الكتاب، ويدرك القارئ حينها أن الكتاب يدرس خطابا ما ، وأن دراسة الخطاب تدخل في باب النقد ، وهنا يبدأ القارئ بمرحلة التتبع ، إما بالشروع في قراءة الكتاب ، وإما إلى فهرس الكتاب ليتعرف على أبوابه وفصوله ، وفي تلك الأبواب والفصول سيتجلى له الغموض مرة أخرى مما يدعوه إلى شيء من التساؤل ، لكن هذه المرة سيحاول البحث عن أجوبة تلك التساؤلات بين ثنايا ذلك الكتاب .

المتأمل لتلك العتبات التي ابتدعها السريحي واتخذ منها بوابات لدراساته، سواء العتبات الرئيسية أو الشارحة، أو العتبات الداخلية ، فلن تتجاوز عددا من المستويات على النحو التالي :

ما تحمله هاتان الكلمتان من دلالات ، فسيلاحظ أنه قد قرن الحجاب بالعادة فكأن الحجاب تبع للعادة ، وذلك لا يعطي المدلول الصحيح لما يقصده السريحي ، فما يوحي به النص الذي طرحه في كتابه لا يدل على هذا التأويل ، وإنما يمكن القول إنه إنما أراد الحجاب الذي أصبح عادة تخفي ما وراءها مما لا يمكن البوح به ، أو التعرض له إلا فيما ندر.

والحجاب غطاء كثيف لديه القدرة على إخفاء ، وحجب كل ما وراءه بقوة فلا يرى منه شيء ، ولذا كان من معاني الحجب المنع ، وعدم التمكين من الوصول ، ومشقة وصول الشيء المحجوب ، أو الوصول إليه.

أما العادة ، فهي الشيء الذي ألفه الناس واعتادوا عليه وتقبلوه حتى ولو لم يكونوا راضين عنه ، لكنه أصبح عادة يصعب الفكاك منها ، ولذلك يقال : أصبح الشيء عادة وليس عبادة ، وهذا يوحي بأن السريحي يذهب إلى أن خطاب الكرم لا يعدو أن يكون عادة فرضتها عادات، وتقاليد سائدة لأهداف معينة حتى باتت كالعادة ، والعنوان هنا يبدو مجازيا استعاريا حيث جعل العادة كالحجاب الذي يخفي وراءه ما يخفي ، وفيه رمزية لخطاب مستكن مقموع لا يجرؤ على الظهور، ولا يستطيع الإعلان الصريح عن نفسه ، لكنه يطل براسه أحيانا من خلف ذلك الحجاب.

وإذا ما تم الانطلاق من العنوان إلى متن النص فسنجد أن كلمة حجاب قد وردت في متن الكتاب (11) مرة ، ثلاث منها في العناوين ، وثمان في متن الكتاب ، حيث وردت بصور مختلفة ، لا يكنها حجاب (2) ، حجاب يكنها(2) ، حجاب يخفيها (1) ، ذات حجاب(2) ، قناع، أو حجاب لها (1) ، والواضح أن عنوان الكتاب فيه تعالق، وتناص مع قول حاتم الطائي في إحدى قصائده :

وليس على ناري حجاب يكنها لمستوبص ليلا ولكن أنيرها

وقد يكون هو من أوحى إليه بهذا العنوان خصوصا أن حاتما رمز الكرم العربي، وبه يضرب المثل ، فكانت هذه الكلمة هي واحدة من كلمتين تضمنهما العنوان الرئيس المركب ، ولو لم تكن كلمة حجاب التي أطلقها حاتم ترمز للخطاب الذي يريد السريحي الإعلان عنه إلا أن الكلمة عبرت عن مقصدية السريحي بشكل جيد.

أما كلمة العادة فلم ترد سوى (3) مرات في متن الكتاب غير العنوان ، في قوله وهو يتحدث عن الكرم : "ما جرى عليه العرف وما تقتضيه العادة" [6] ، وقوله وهو يتحدث عن حاتم الطائي : "جرت العادة على أن يتم تقديمه كنموذج مثالي " [7] وقوله وهو يتحدث عن الضيافة : "رآها حقا من طريق المعروف والعادة المحمودة" [8] ، فالعادة عنده هي الكرم ، الضيافة ، نموذج الكرم أو من يضرب به المثل في الكرم.

أ- 1 - العتبات الداخلية

بالتأمل في العتبات الداخلية للكتاب نجد أنها جميعا تعبر عن موضوعات لها ارتباطها بالعنوان الرئيسي للكتاب حيث تصور خطابا مضادا لما صار كالعادة التي لا تعدو كونها حجابا اتخذ لصد ما يمكن أن تكون له تبعات لا يرتضيها العربي لنفسه ، والعتبات هي : شق الأنفس، قلق النار، قناع الكلب ، ذئبية الضيف ، قاع التجربة، جميع هذه العتبات مركبة تركيبا إضافيا على النحو الآتي:

شق الأنفس

نجد العنوان فيه انزياح ، وفي التركيب ما يعبر عن المتن بشكل جيد حيث يشير إلى ما يدل على المشقة الناتجة عن الكرم وهنا لب الانزياح الذي يفاجئنا بأن الكرم فيه شق الأنفس، وهي المشقة التي يتحملها الكريم من أجل حماية نفسه وماله وعرضه ، وفي (قلق النار) انزياح أيضا فالنار مصدر للإضاءة ، للدفء ، للطبخ ، وهي مصدر للخوف عندما تتجاوز حدود ما وضعت له فتحرق ما تصل إليه، لكن أن تكون مصدر قلق فهذا هو الجديد في هذه العتبة ، ويعود مصدر القلق الذي تفتق عنه ذهن السريحي إلى أن النار تدعو للقلق عندما تجلب الضيوف ، وعلى الرغم من أن الضيف عند العربي مرحب به بناء على الخطاب السائد، إلا أن حفريات السريحي خولت له الظن أن هنالك من يقلقه الضيف ، ويخيفه حتى لو زعم حبه له ، وهذا هو الخطاب المستتر الذي أراد السريحي كشفه.

قناع الكلب

يتضح الانزياح ، فليس المقصود بقناع الكلب ما يتقنع به الكلب، وإنما حين يصاب الإنسان بداء التكالب، والحرص وحب التملك، والتخلق بأخلاق الكلاب حتى يكون لمن تخلق بها أنياب، وأضراس يجرح بها الآخرين.

ومن أصيب بالكلب فقد تقنع بما يدفع عنه فقد شيء من ماله بما يقدمه لضيفه ، فلا جود بلا إنفاق ، ومن أصابه داء الكلب تكالب على المال فلا ينفق منه لضيفه.

فالكلب ينبح ليدل الضيف على بيت الكرم ، وينبح ليؤذي الضيوف، ويمنعهم من الوصول إلى بيت صاحب الكلب ، ولا ينبح لتعوده على الناس وكثرة الضيوف ، ويمنعه صاحبه ، أو يكعمه عن النباح لئلا يدل الضيف على صاحب البيت ، وهذا ذم:

هجمنا عليه وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح إنما الكلب نابح

وعلى الرغم من أن العتبة قد لا تعطي تصورا كاملا عما تضمنه النص ، كون السريجي استقصى كل ما يتعلق بالكلب وجعله قناعا باختلاف أحواله، ومتعلقاته إلا أنه يظل في دائرة هذا الحيوان المتقلب الأطوار، والذي يصلح أن يكون برهانا على الأطوار المتقلبة أيضا ففي الخطاب المهيمن يكون للكلب حضور، وفي الخطاب المضمر يكون له حضور أيضا يخدم النظرة الموازية له ، فهو في كلا الحالات حمال أوجه ، وقابل للتكيف مع مختلف الظروف المتعلقة بالإنسان ، إلا أن السريجي قرأه من الجانب الذي يخدم الخطاب المضمر، أو البنية المقموعة ، فكان تناوله من جانب داء الكلب، وعلاجه، ودم الملوك والأشراف، والنباح بأنواعه ، واختلاف مقاصده ، وجبن الكلب، والتكالب على المال، وهجاء الكلب مقصودا به الرجل، والعكس كذلك، والتجريح بالأنياب والأضراس التي هي من خصوصيات الكلاب، والكلب المقموع، والمخنوق، والمحرش، والجبان، وفي كل ذلك انزياح يحاول السريجي من خلاله الكشف عن المعنى المستتر وراء الكلمات، وما تحمله من تناقضات ، وقلق وتوتر يفصح عن أن تجربة إنسانية كامنة تحاول الظهور إلا أنها تقع تحت هيمنة خطاب قوي يحاول قمعها وتهميشها.

ذئبية الضيف

تصدمنا هذه العتبة حيث مثلت انزياحا اخترق قوانين العرف ، وصور لنا الضيف ذئبا شرسا ، وهو خلاف ما عرف عن الضيف ، وهنا نجد عتبة يمكن أن تدخل ضمن العتبات العجائبية غير المألوفة بغرابتها ، حيث أضاف صفة الذئاب إلى الضيف ، ويربط هذه العتبة بالنص بادئا بما يعامل به الضيف من جفوة ، وكأنه ذئب تخشى منه الضراوة ، واستشهد ببيت [9] نسب لحاتم الطائي ليكرس به خطابه ، مع أن كل من تعرض له استنكره كونه يصطدم مع الخطاب المهيمن الذي يعطي الضيف حقه من الحفاوة والرقة واللطف.

ظل يحفر في هذه الخاصية النادرة والمستنكرة رابطا بين العنوان وما يدل عليه من انزياح عن المألوف ، عن الجانب المتوحش الذي اعتبره خطابا مقموعا يتعرض دوما لضربات الخطاب السائد، والمعروف الذي يتغنى به العربي افتخارا 0

استحضر السريجي جميع المفردات المتولدة من الفعل ضرى، وأضاف في جانبها الآخر رابطا إياها بما ذهب إليه في العتبة من صفات الذئب المتمثل في ضراوته وطبعه المتوحش.

كان منصفا في طرح وقوف الشراح عند هذه الأبيات التي توحي بالخسة ، والتي وصفها الأصمعي أنها جاءت على مذهب الأخساء ، وأشار إلى التخريجات التي تمثل جانب الكرم، فالضيف الذي ورد في البيت (وإنا لنجفو الضيف) هو الأسد وليس الإنسان ، لكنه ومع كل ذلك لا يبرئ تلك الأقوال من القلق والتوتر الذين يربطان بين الضيف والمضيف.

وفي الموضوع نجد كلمة (الذئب) وردت في (40) موضعا في النص ، وورد اسم (الضيف) (26) مرة ، مما يعني وجود ارتباط وثيق بين العتبة وبين متن النص .

قاع التجربة

عتبة أخرى ، يمكن إدراجها ضمن العناوين المجازية ، فالتجربة ليست مكانا ملموسا يمكن أن يكون له قاع إلا إن جاء ذلك من باب المجاز ، وفي هذه العتبة انزياح يطرح لنا صورة غير مألوفة ، تكسوها الغرابة ، ولا تخلو من المفاجأة كونها لا تعبر عن واقع ملموس ، وفي هذا التركيب ما يوحي بوجود معنى مستتر وراء هاتين الكلمتين.

لم ترد كلمة قاع سوى في العنوان بينما وردت في مواضع أخرى من الكتاب حوالي (4) مرات ، وبصيغ مختلفة مثل (قاع النفس ، قاع الخطاب ، القاع الخفي ، القاع المتوتر)، ويبدو أنه يقصد بالقاع الجذر أو الأصل ، أو القرار العميق الذي انبثقت منه هذه التجربة ، ولا غرابة أن ترد مثل هذه الألفاظ وهو يدرسها بأسلوبه الحفري الأركيولوجي حيث ينقب عن الجذور والأصول والبدايات التي انبثقت منها هذه التجارب التي قد تكون موجعة أحيانا، وهو يزاوج بين الأركيولوجيا ، والجينالوجيا في بعض مباحثه ، فتارة يبحث في الخطاب في عصر ما ، وتارة يبحث في تطور ذلك الخطاب.

أما كلمة التجربة وهي الكلمة التي وردت مضافا إليه فقد وردت حوالي (4) مرات مضافة، بينما وردت أكثر من (40) مرة في ثنايا كتابه0

وهو يتعرض للتجارب غائصا في الجذور تحقيقا لمقصدية العتبة الأولى ، وكشفا للمسكوت عنه ، والمضمر في هذه المسألة التي تبدو حرجة ، ويبدو الخطاب المهيمن يحاول قمعها باستمرار ، ولا أدل على ذلك من تلك التفسيرات والتعليلات التي تسعى دائما إلى التماس المبررات والأعذار لنفي التهمة التي تحاول تلك الخطابات المقموعة الإفصاح عنها.

لا يبدو هنالك ارتباط واضح بين لغة العتبة ولغة المتن في هذا المبحث ، فلا يتضح المقصود إلا بعد قراءة المتن، وفهم مضمونه ، فالقارئ لمركب قاع التجربة ، لا يفهم منه شيئا ما لم يتعمق في الموضوع ويدرك مقصد الناقد حينها يمكن أن يتوصل من خلال المتن إلى مقصد العتبة، ويستنبط العلاقة ويكتشف المقصود.

وعودا إلى العتبة وبعد الخروج من مدلولات العتبة الرئيسية تواجهنا العتبة الشارحة والتي قدمها السريحي بهذا النص (أركيولوجيا الكرم من الخطاب إلى التجربة) وهنا يبدو هذا العنوان إشارة لتسلسل معين يشير إلى الخطاب المهيمن الذي انغرس في الذاكرة العربية والذهن العربي ، لكن التجربة كشفت بعض مضمراته، وما اختبأ منه، وما فضحته اللغة.

ب/ الكتاب الثاني (غواية[10] الاسم بين العتبة والمتن) (سيرة القهوة وخطاب التحريم):

تبدو العتبة غامضة؛ لا يدرى ما وراءها ، ويمكن القول إن العنوان غير جاذب إلا في جانب واحد هو ما يمكن أن يدفع القارئ الشغوف بالقراءة إلى التساؤل: ترى ما الذي يريده مؤلف الكتاب؟ ، وعم يتحدث ؟ ، وما المجال الذي يكتب فيه ؟ وقد يدرك من عنوانه أنه من الجيل الحديث الذي يغلب على أسلوبه الغموض،

والتعمية، أو لنقل : إنه رمزي يستدعي بعض التأويل ، لكن المتن يكشف مغزاه بوضوح ، ومع ذلك فالسريحي لم يترك القارئ في حيرته هكذا بل إنه يقول له : لحظه أيها القارئ.

لقد وضعت لك عنوانا شارحا يجلو حيرتك، وينقلك خطوة أخرى نحو محتوى كتابي، فإما أن تواصل قراءته وإما أن تضعه جانبا.

أما العنوان الشارح فيغلب عليه جانب الجذب، والإغواء ، ففي سيرة القهوة يتبادر إلى الذهن تاريخ القهوة ، كيف ومتى عرفت ؟ لكن المتلقي يتوقف مذهولا متسائلا عما يعنيه بقوله خطاب التحريم ؟ وهذا يدعوه إلى استنتاج أوَّليَّ أن هنالك تحريم من نوع ما ، فأي خطاب هو الذي يحرم؟ وهل يحرم القهوة ؟ولماذا ؟ وكيف أدخلها في باب الخطاب ؟ ومصطلح الخطاب له أبعاد ، ومسببات ومؤثرات ، ربما استدعت بعض التأملات ، والتساؤلات.

وهنا يبدأ السريحي بطرح النتائج التي خرج بها من حفرياته حول هذا الأمر ، ويبدأ مسار الحديث بالكشف عن تفسير تلك العتبات التي تكاد أن تلم بالموضوع، ولكن بطريقة غير مباشرة، وذلك بكشف ما وراء تلك العتبة خلال التغلغل في المتن، فالغواية مأخوذة من الإغواء ، وهنا يبرز تساؤل ، أي نوع من الإغواء ، فالكلمة لم ترد في الكتاب مضبوطة بالشكل ، لكن من خلال العودة إلى قواميس اللغة ، فإنها تكتب بالفتح (غَوَايَة) مصدرا للفعل غَوَى ، بمعنى ضل ، والغواية هنا ستكون بمعنى الضلال ، ولدى تأمل العتبة جيدا ، فإن ما يتبادر إلى الأذهان هو أن غَواية الاسم مقصود بها تضليل الاسم ، أي أن تضليلا ما ينتج عن استخدام هذا الاسم وهو القهوة ، فلماذا كانت القهوة مضللة؟

وهنا يفصل السريحي من خلال المتن ما يعنيه هذا العنوان فهنالك ترابط ما بين عنوان الكتاب ومتنه ، ولعل العتبات الداخلية تزيد الأمر بيانا وتوضيحا 0

ب- 1-العتبات الداخلية

استعادة الذاكرة ، البحث عن الجذور ، تجليات القهوة ، التحريم ولعبة الأسئلة ، ما تحت القشرة ، سحر الاسم

جميع العتبات الداخلية جاءت مركبة مبدوءة بأسماء ، والأسماء تدل على الثبات، والاستقرار إلا أن المدلولات التي تحملها هذه العتبات توحي بخلاف ذلك حيث تشير إلى حركة وصراع، وهو ما رافق هذا المشروب منذ عرف ، لقد كان مسمى جدليا ، وميدانا لتجاذبات شتى، منحته الحركة، وعدم الثبات ، وبالتوقف عند بعض تلك العناوين يتضح ما يأتي:

(استعادة الذاكرة)

يبدو عنوانا يدل على لحظة مداهمة ارتبطت بموقف معين ، له علاقة مباشرة بمسألة القهوة ، فبمجرد التفكير فيما مر بمشروب القهوة من ظروف وتقلبات ، في تلك اللحظة قفزت الذاكرة لا شعوريا لتستدعي أمرا له

علاقة بالقهوة وهو يحمل خطابا مجهولا لا يُدرى سره ، ولا تُعرف أبعاده ، لكنه جدير بالحفر جينالوجيًا، وأركيولوجيًا بناء على ذلك الاسترجاع المفاجئ ، وهو ما ستتضح تفاصيلة في المتن التابع لهذه العتبة.

وبالنظر إلى هذه العتبة فإنها قد لا تمثل ارتباطا واضحا ومباشرا للعتبة الرئيسية لكن التفاصيل التالية تربطها بالعتبة الرئيسية حيث يتذكر فيها ذلك المقهى الذي عرفه في فترة متقدمة من فترات حياته والذي كان يعد شبهة ، ومن يرتاده يضع نفسه موضع الشبهة ، وفي متن النص المعبر عن هذه العتبة نجد ملامح التحريم تطل من خلال نظرة أهل الحي لمرتادي ذلك المقهى فحين " استقطب دلك المقهى فئة قليلة من شباب الحي فأصبحوا من مرتاديه اعتبر أهالي الحي ما أقدموا عليه أمرا معيبا"[11] والعيب هنا له ارتباط بالحلال والحرام وإن كان ارتباطا خفيا ، وهنا يمكن القول إنه خطاب مهيمن له جذوره التي حاول السريحي البحث عنها وهذا ما عمل عليه في المبحث الثاني.

(البحث عن الجذور)

، وترتبط هذه العتبة مع العتبة الأم حيث تعتبر امتدادا لها ، فإذا كان للاسم غواية، وتضليل فهو إما ادعاء حقيقي، أو مزيف ، والحفر في الجذور هو الوسيلة الوحيدة لكشف هذه الملابسة التي هيمنت على الخطاب زمنا غير يسير ، لكنه قبل أن يشير إلى بعض أسباب تحريم القهوة يسرد شيئا من تاريخ نشوئها، وبداياتها ثم يعود إلى تلك التطورات ، التي صاحبت نشوءها، والتي كان لها أثر في ما أصيبت به من إشكالات أدت إلى تحريمها.

(تجليات القهوة)

هنا عنوان مركب ببنيةالعميقة ، مضاف، ومضاف إليه، خبر لمبتدأ محذوف ، يكشف تلك البنية العميقة مقدرة بـ(هذه تجليات القهوة) وفي هذا مبعث للتساؤل ، ما المقصود بتجليات القهوة ، فالتجلي يحمل معنى الظهور ، وتجليات جمع، وهذا يدل على أن السريحي عبّر عن عدد من التجليات ، فهل كان للقهوة تجليات ؟ وما الذي يربط هذه التجليات بالعتبة الرئيسة (غواية الاسم) ؟

لا شك أن لغواية الاسم تفسيرات، ورؤى تنكشف من خلال عدد من الحفريات من ضمنها هذه التجليات، حيث يضعنا السريحي أمام حالات من الظهور، والتكشف ، والإبانة، لكنه عبر عنها بالتجليات التي تدل على التكرار من خلال استخدامه للاسم بصيغة الجمع ليدل على عدد من حالات الانكشاف والظهور، خصوصا أن مسمى القهوة مر بمخاض استمر تسعة قرون حسب السريحي.

ويمكن القول : إن هذا المبحث يمثل فصل الخطاب في متن كتابه ارتباطا بالعتبة الرئيسة (غواية الاسم) إذ يدخل السريحي من خلاله إلى عدد من الظروف التي صاحبت نشوء مسمى القهوة الذي تلبس من خلاله بالمسمى الذي دعا إلى تحريمها وصرف الناس عنها.

فالقهوة أحد مسميات الخمر المحرمة، والقهوة التي دار حولها الكثير من الجدل تلبس بها اسم القهوة مع ما يحمله هذا الاسم من محاذير ناتجة عن أثره على الجسد في القهوة المحرمة والمسكرة، بالإضافة إلى تدخل بعض الخطابات، واستغلالها لهذه الإشكالية، ومن ثم والبناء عليها لتمرير خطابات معينة .

وفي هذا كله ربط بالعتبة الرئيسة، وكشف لما تحمله من مقصديات يبينها، ويجليها المتن في هذا المبحث.

ليس هذا فحسب بل إن لها تجليات أخرى تظهر من خلال أتْباع خطاب التحريم المهيمن حينها، وأتباع الخطاب المقموع من المدافعين عنها.

إن هذا المبحث يكشف الكثير من الخفايا، ويجلي كل الخطابات المصاحبة، ويجعلها تطفو على السطح فهو انعكاس مثرٍ لما تضمنته العتبة الأولى، وهو كشف كبير عما يمكن أن يعتور تلك العتبة من غموض.

(التحريم ولعبة الأسئلة)

وردت هذه العتبة الداخلية بلفظة التحريم ، وفيها تكرار لكلمة التحريم التي هي جزء من العنوان الشارح (خطاب التحريم) وابتدئ بكلمة التحريم ، ويقصد بذلك تحريم القهوة، ثم عطف عليها كلمة لعبة وهذا يدل على أن التحريم ارتبط بتلاعب معين ، وبمعنى آخر فإن التحريم كان عبارة عن تلاعب بالألفاظ ، ولكن أي ألفاظ يقصد السريحي ، لقد حدد نوع تلك اللعبة، وخصصها بالأسئلة ، وهنا يتبادر إلى الذهن بأن هنالك أسئلة مغلوطة ارتبطت بالقهوة نتج عنها تحريم شربها ، وبناء على ذلك فقد أجاب على أحد التساؤلات المطروحة حول سر التحريم ، لماذا حرمت القهوة؟ ، فأجاب بأن تلاعبا ما طرأ على أسئلة بعض السائلين ، ومن السائلين من يضع أسئلة ملغومة ، تدعو صاحب الفُتيا إلى أن يضع جوابا يناسب رغبة صاحب السؤال.

ورد في هذا المبحث الإشارة إلى السؤال في (10) مواضع ، وقد أورد السريحي الصيغة الملغومة لأحد هذه الأسئلة على النحو التالي : " «المشروب الذي يقال له القهوة شاع شربه بمكة المكرمة وغيرها، يتعاطونه في المسجد الحرام وغيره، يدار بينهم بكأس من إناء آخر، وقد أخبر خلق ممن تاب عنه بأن كثيره يؤدي إلى السكر، وأخبر عدول من الأطباء بأنه مضر بالأبدان، وقد منع من شربه من يعتد بقوله من العلماء بمكة والزهاد بها .. . . أفتونامأجورين وابسطوا الجواب" [12]: ، وقد بسط السريحي القول في هذا السؤال الملغوم الذي اعتبره تلاعبا بالألفاظ ، إضافة إلى أنه سؤال مدروس ، ومخطط له ، ومتفق عليه من طائفة ، لديهم خطاب يريدون تمريره ، وتحقيقه مستفيدين من نفوذ السلطان آنذاك.

وكما كان للقهوة مناوئون فقد كان لها أنصار ، وما دام الأمر فيه تلاعب فمن الطبيعي أن يتصدى أنصار القهوة لخصومهم ، فكان أن قدموا سؤالا مضادا يهدف إلى الإفتاء بحل القهوة ، فكان سؤالهم: " «ما قولكم، رضي الله عنكم، في ماء يغلى فيه قشر حب يقال له البن، يسمى هذا الماء قهوة، هل شربه حرام لقول من لا ثقة بقوله إنها تضر بالعقل والبدن أم لا ؟"[13] ولأن الأصل الحِل، فقد ركز السريحي على مسألة التحريم كونها هي مثار القضية، فتناولها رابطا العتبة بالمتن وموضحا كل الملابسات المصاحبة ، وحيث ارتبط العنوان الداخلي

بالعتبة الرئيسة ، فقد كان الحديث عن التحريم، وأسبابه التي تمثلت هنا في تلك الأسئلة الملغومة التي تناولها بالتفصيل، والتأويل في هذا المبحث.

(ما تحت القشرة)

ومن المتن عنوان لمبحث آخر وفيه من الإيحاء ما فيه وهو (ما تحت القشرة) والذي يتبين فيه جانب من لغة المتن التي تفسر العنوان العام ، والعتبة هنا تكون عنوانا كاملا يوحي ببنية عميقة بما تختزنه من غموض يدعو إلى التساؤل والوقوف بحثا عما وراء هذه الجملة المكونة من اسم موصول يتلوه شبه جملة هي ظرف مضاف يكتنفه الغموض ، ففي البدء بالاسم الموصول عمومية تشير إلى أمر مجهول لا يدرى كنهه ، ويزيد الأمر غموضا استخدام الظرف (تحت) وفيه من الإبهام ما فيه ، ثم يأتي الاسم المعرف بأل (القشرة) متوقعين أن يُعرِّف ما قبله، لكنه يزيد الأمر إبهاما، وكأن السريحي يجر القارئ من مبهم إلى أشد إبهاما فالجملة بكاملها توحي بشيء من الغرابة الداعية إلى القلق والتساؤل عما تحت القشرة ، ويغلب على الفكر أن أية قشرة تخفي تحتها مجهولا مريبا ، يحتمل فساده ،فهي كلمة تحمل وجهين وجها ظاهرا وهو ما أشار إليه في المتن ،ووجها خفيا، وهو الخطاب المختبئ خلف إشكالات القهوة التي مثلت قشرة يخبئ خلفها خطاب له أبعاده.

وبإقران هذه العتبة بالعتبة الكبرى وما سبق من مباحث نجدنا أمام لغز يحتاج إلى فك طلاسمه التي لا سبيل للوصول إليها إلا بالبحث، والتنقيب فيما تحويه النصوص القادمة المفسرة.

لم ترد القشرة في هذا المبحث ولكن ما ورد هو القشر، حيث وردت هذه الكلمة (13) مرة، والقشر أو ما يطلق عليه " (القهوة القشرية)"القِشر هو الغلاف الخارجي لثمرة شجرة البن (قِشرة البن) وهي تشكل نسبة 2% تقريباً من وزن ثمرة البن" [(14)] وعلى هذا يتبين أن السريحي إنما قصد قشرة البن في مدلوله الظاهر، وهذا فيه إتمام لما بدأه من حفريات حول هذه النبتة، وجميع متعلقاتها، وارتباطها بالرجال دون النساء والأطفال ، وانتقالها إلى البادية وارتباطها بمقامات الفروسية ، ومع أن القهوة قد تجاوزت مرحلة التحريم إلا أن الغواية التي جعلها السريحي عتبة لكتابه ظلت خطابا مختبئا فكبار السن لا يحبذون شربها من قبل الأطفال ، ولا يزال مصطلح (متقهوي) يظهر في بعض المواطن كل هذه الإشكالات دونها السريحي في متن كتابه ، وكأنما كان هذا المتن تفسير لما صاحب العتبة من غموض بدده هذا المتن حين أشير إلى القهوة ، وإلى كل ما صاحبها من ظروف مكانية وزمانية ، وسياسية ودينية خلال زمن من الصراع الذي أنتجته التسمية المضللة.

عودة إلى العتبة الأولى

بعد هذه الإطلالة وبعد أن اتضحت الكثير من مقاصد السريحي ، وبعد أن تبينت العلاقات والروابط ما بين العتبة والمتن في هذا الكتاب ، وبعد أن تجلت الأمور المتعلقة بالقهوة وكشف ما أوصلها إلى ما وصلت إليه ، وإلى كل تلك الصراعات التي دارت من أجلها، وبتوقف قصير أمام العتبة الرئيسة التي افتتح بها السريحي كتابه أجد تعالقا بينها وبين ما ورد في الحديث الشريف الذي أورده البخاري في صحيحه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي: (لقيت موسى قال: فنعته، فإذا رجل - حسبته قال - مضطرب رجل الرأس، كأنه من رجال

شنوءة، قال: ولقيت عيسى - فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال - ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، قال: وأتيت بإناءين، أحدهما لبن والآخر فيه خمر، فقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة، أو: أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك" [15] ، فالتعالق - فيما يظهر لي - في الحديث بين الغواية والخمر ، وهو تعالق لفظي لا معنوي ، والغواية الناتجة عن تسمية البن بالقهوة سبب إشكالا أغوى، وضلل الكثير حتى جعلوا القهوة كالخمر فحرموها.

عتبة متأخرة (سحر الاسم)

من الملفت للنظر أن السريحي قدم المراجع والإحالات على عتبة مهمة ختم بها دراسته خلافا لما هو سائد من جعل المراجع والإحالات هي أخر المطاف ، أو لنقل هي العتبة النهائية على اعتبارها واحدة من عتبات النص ، وعودة إلى العنوان الرئيس ، أو العتبة الرئيسة الأولى غواية الاسم ، نجده هنا يضع عنوانا موازيا لذلك العنوان ، فبدلا من (غواية) نجد (سحر) ، وبه يختم السريحي بحثه فإذا كان للاسم تضليل يؤدي به إلى الانزياح إلى معنى آخر ، فإن للسحر شيئا من ذلك الأثر ، فسحر الاسم ينزاح به إلى مفاهيم أخرى ، وإذا اعتبرنا أن اسم القهوة قد سبب لها بعض المتاعب، فإن له في الجانب الآخر سحر يخلب الألباب، وهذا السحر يتمثل فيما تسبب به هذا الاسم من إثارة لهذا المشروب فتكوّن من أجله طوائف منهم الأعداء، ومنهم الأنصار مما رفع من صيته ، وأعلى من شأنه ، وهنا يغلق السريحي حفرياته بهذه الخاتمة المرتبطة ارتباطا قويا بالعنوان الرئيسي، والعتبة الكبرى لهذا الكتاب.

ج/ الكتاب الثالث (إيديولوجيا الصحراء)

المكانية والزمانية

صدر هذا الكتاب في لبنان في طبعته الأولى في نوفمبر 2015 ، وقد عني فيه بأدب الحجاز عموما شاملا مكة ، وجدة ، والطائف ، مع ارتباط أحداثه بقلب الجزيرة العربية ، والتي أطلق عليها مجازا الصحراء ، وهو يرصد الحركة الأدبية الحديثة وما صاحبها من توترات ، وجدل مع ذكر الشخصيات المؤثرة في تلك الفترة ، وهي رسالة موجهة في مناصها العام إلى كل المهتمين بأدب الحجاز، والذي هدف من خلاله إلى قراءة الخطاب المحرك لتداعيات الحركة الأدبية والثقافية في تلك الفترة ، ومناقشة المسميات والمصطلحات.

إرهاصات (إيديولوجيا الصحراء)

من الواضح أن في هذا العنوان تعالق مع كتابين سابقين لهذا الكتاب هما (من وحي الصحراء) و (ثقافة الصحراء) مما أنتج كتابا هو (إيديولوجيا الصحراء) هذه العتبة الرئيسة لهذا الكتاب عبارة عن شبه جملة و، كعادة السريحي في وضع عناوينه على هذه الصورة فهي غالبا تتكون من كلمتين مضاف ومضاف إليه وبذلك تعتبر بنية سطحية تزداد وضوحا عندما يقدر المبتدأ المحذوف وهو اسم الإشارة هذه لتصبح في بنيتها العميقة ،(هذه إيديولوجيا الصحراء) فأي إيديولوجيا أراد السريحي طرحها في كتابه هذا ؟

وأي صحراء يريد، وما الذي يريد أن يقوله عن فكر الصحراء، أو أبناء الصحراء؟

أسئلة تجر إلى إجابات حول هذه العتبة في متن كتابه هذا في قراءة تحليلية للخطابات المتعلقة بهذه الإيديولوجيا، لكنه قبل أن يجيب عليها، وعلى عادته أيضا يضع عنوانا شارحا، والعنوان الشارح لهذه العتبة هو : (آفاق التجديد وسؤال الهوية المعلقة) ، على أنه قد وضع عنوانا شارحا لكن هذا العنوان يجر إلى العديد من التساؤلات أيضا ، فأي تجديد يريد؟ ، وما الهوية المعلقة التي يشير إلى سؤالها؟

كل هذه التساؤلات عن العتبات الرئيسة، والشارحة تبحث عن إجابات داخل متن كتابه هذا، ولعل في استعراض العتبات الداخلية ما يشير إلى وجود مؤشر يكشف بعضا من المدلولات التي يحتويها المتن ، وتتمثل تلك العتبات على النحو الآتي:

الإهداء

كي لا تكون الصحراء جوابا نهائيا

إيديولوجيا الصحراء

مخاض التجديد وسؤال الهوية

قلق المحافظة ورهاب الآخر

خمس عتبات داخلية من (عتبات النص المحيط) تحمل عناوين طويلة نوعا ما خلافا لما اعتدنا عليه في كتبه السابقة حيث لا تتجاوز العتبة كلمتين فقط مضاف ومضاف إليه مبتدؤهما محذوف مقدر ، وعلى الرغم من أن عتبات كتابه (إيديولوجيا الصحراء) أكثر من كلمتين لكل عتبة إلا أن كل واحدة منهما تعد نصا موازيا يحمل مدلولات أعمق فتكون بنية سطحية وبنية عميقة ، فالبنية السطحية هنا هي (إيديولوجيا الصحراء) والبنية العميقة هي (هذه إيديولوجيا الصحراء).

عتبة الإهداء

وعلى اعتبار الإهداء واحدا من تلك العتبات ، فقد وجهت بصورة مباشرة إلى ذلك الرجل الذي صمد أمام العديد من الأصوات المضادة لتوجهه إنه الأديب محمد حسن عواد[16] ، وقد خص فترة شبابه ، دون أن يبين المغزى من ذلك ربما لأنه كان أكثر حماسا ، ولكن العواد لم يسجل عليه أي تراجع، أو تغير حتى في آخر لقاءاته وحواراته ، أما السريحي فكان واحدا من أولئك الذين تبنوا الجانب الحداثي في مقابل تيار مضاد لهذا التوجه ، وكأن السريحي يرى نفسه في ذلك الرجل.

المقدمة (كي لا تكون الصحراء جوابا نهائيا)

هذه هي العتبة التي قدم بها كتابه ، وتبدو عتبة ، تعليلية حيث بدأها بحرف التشبيه كي ، وكأنما هي تعليل لفكرة مخفية في ذهن الناقد آثر التحفظ عليها، وعدم إيرادها تاركا للمتلقي اكتشافها من خلال المتن اللاحق الأمر الذي قد يبدد تساؤله.

يبدو أن هنالك من جعل الصحراء جوابا نهائيا ، ولكن ترى من هو ذلك الذي جعلها كذلك ؟ وما السؤال الذي أراد ذلك المجهول أن يجعلها جوابا نهائيا عليه؟ وهل للمتن أن يجيب على هذا التساؤل؟

من الواضح أن السريحي يتعامل بحرفية مع حساسيات الموقف ، ويحاول ملامسة الجرح دن التعمق فيه ، ودون أن يصطدم مع أي طرف مخالف ، فينتقي عتباته بذكاء ، ويحلل الخطابات بطريقة تتيح له استبقاء المخارج المناسبة عندما يضطره الأمر إلى ذلك ، أما من حيث ارتباط هذه العتبة بالعتبة الكبرى فهو ارتباط واضح ، تعالقت فيه هذه العتبة برابط يجمع بينهما هو الصحراء، والتي بدت وكأنها هي الجواب النهائي لمسألة تحديد هوية الحجاز ، والتي اعتبرها السريحي مظهرا من مظاهر الهيمنة الثقافية على اعتبار أن للحجاز إرثا حضاريا وثقافيا ينبغي عدم تجاهله وتذويبه في إيديولوجيات أخرى ، مع التأكيد على ما يسعى إليه الحجاز من خطوات للحاق بالركب الحضاري مع المحافظة على هويته الخاصة به.

يلاحظ في متن هذه المقدمة ارتباط واضح مع العنوان الرئيس ولعل كلمة (الصحراء) هي همزة الوصل ما بين العنوان ومتن المقدمة ، ولعلها هي الأيقونة البارزة في جميع مفاصل هذا الكتاب ، حيث وردت أكثر من (120) مرة في المتن غير ورودها في عناوين الصفحات.

وبالتأمل في متن هذه المقدمة تتضح العلة التي أرادها السريحي في تعليله ، والتي تعبر عن رغبة كامنة في تمييز هوية أدب الحجاز بمختلف سماتها عن غيرها من البيئات ، والحفاظ على الهوية الحجازية من أي مظهر من مظاهر العزل أو التهميش ، وفرض أي هيمنة أخرى يمكن أن تطمس تلك الهوية.

العنوان الفصل (إيديولوجيا الصحراء)

وهو العنوان الفصل؛ لأنه أخذ مركزين بتعالقه مع العتبة الكبرى كليا، فهو يمثل الفصل الأول ويعتبر تكرارا للعنوان الرئيس، أو لنقل إنه العتبة المهيمنة التي أصبحت عنوانا للكتاب بكامله، وقد أُشير إلى ما يحمله هذا العنوان في قسم المصطلحات والمفاهيم، وفي مقدمة التحليل لهذا الكتاب، ولكن تساؤلا يطفو على السطح:

ما مدى ارتباط متن هذا الفصل بعنوانه، وكذا بعنوان الكتاب ؟

عند تأمل متن هذا الفصل يتضح لنا أن السريحي قد تعرض لمفاهيم متعددة حول هذه الإيديولوجية التي جعلها محطة لتحليله للخطاب ، وفيه ارتباط واضح بالعنوان ، فهو ينفي عن كتاب (من وحي الصحراء) أي انتماء للصحراء ، وأن أكثر نصوصه لم تشر إلى الصحراء لا من قريب ولامن بعيد ، كما أنه ينفي أي انتماء للصحراء بالنسبة لمكة كونها حاضرة الحجاز ، وأن الهيمنة الثقافية القادمة من مصر والشام والعراق هي التي ألحقت مكة بالصحراء ، حيث تعتبر الصحراء هي البديل الأمثل بما أنتجته قديما من الشعر والأدب الذي ظل ماثلا إلى اليوم ، وهي المرجع الذي يمكن أن يمثل الهوية الأنسب للحجاز ، ويعيد الإشارة إلى مقالة طه حسين التي دعت إلى أن يكون للحجاز هوية بدلا من أن يكونوا صوتا آخر لأدباء مصر والشام والعراق والمهجر ، مما أوحى لبعض أدباء الحجاز باتخاذ الصحراء بوصفها هوية يجب التمسك بها ، ويستمر في طرح رؤيته حول هذا إلى

أن ينتهي إلى الكتاب الآخر وهو كتاب (ثقافة الصحراء) لسعد البازعي ، وأن ما يجمعه مع سابقة هو مسمى الصحراء ، لكن الجواب على العتبة التي اختار اسمها إيديولوجيا الصحراء تنكشف في ختام الحديث عن كتاب البازعي حين قال : " وما عبر عنه البازعي بضغط المفاهيم والإحساس بالأسر إنما هو أمر ناشئ عن الوقوع تحت هيمنة الصحراء باعتبارها إيديولوجيا تتصل بسؤال الهوية ، وهو السؤال الذي تفرضه السياقات التي تحكمت في اختيار العنوان الذي يجيء ليهيمن على ما يمكن أن ينطوي تحته وينتمي إليه ، وكذلك على ما قد يكون خارجا عنه غير قابل للدخول فيه" [17] فهو في هذه المقولة يعيدنا إلى العنوان الذي اختاره عتبة لكتابه ، لقد جعل من الصحراء إيديولوجيا خلافا للعنوان الذي يفيد بأن للصحراء إيديولوجيا خاصة بها.

لم يتعمق السريحي كثيرا في مدلول الإيديولوجيا، وفيما يدور في خلده حول هذه الإيديولوجيا تاركا للقارئ استنباط ما يمكنه من مدلولات من خلال بعض الإشارات ومن خلال حديثه المتشعب عن ردود الأفعال التي شاعت على فترات متباعدة حينا ، ومتقاربة أحيانا ، وكذلك خلال تناوله كتاب البازعي المسمى (ثقافة الصحراء) حيث كان يتوقف عند بعض عبارات البازعي المتعلقة بتلك الإيديولوجيا والتي يشير في جانب منها إلى أن "الانتقال من دائرة أدب الشباب، أو الحداثة إلى دائرة الأدب المعاصر ينطوي على نفس المجازفة المرتكزة على إسقاط الجزئي على الكلي، والرغبة في تعميمه كنموذج مهيمن ، وهو الأمر الذي يجعلنا نذهب مطمئنين إلى أن الخطاب الإيديولوجي يطرح ثقافة الصحراء كإطار طارد وحاجب لبقية الأطر" [18]

فالفكرة على اختلاف مقاصدها كانت هي عنوان كتابه ، ويبدو أنه وضع العنوان لهذا الفصل ، ثم اختاره ليكون العتبة الكبرى للكتاب ، ومن المتوقع أن السريحي قد اختار هذا العنوان بعد أن أتم كتابه ، حيث يغلب اختيار العنوان بعد الانتهاء من الكتابة خصوصا العناوين العائمة التي يختارها الكاتب بعد أن يفرغ من الموضوع الذي كتب فيه ، وهي العتبة التي تحمل لب الكتاب ، على أن بقية مباحث الكتاب متممة للفكرة الرئيسة التي أنشئ الكتاب من أجلها وهي الحفر في تلك الإشكالية التي طالت أدب الحجاز ، وادخلته في معارك مختلفة لها ارتباطاتها المتعلقة بالجوانب الدينية، والثقافية، والسياسية.

مخاض التجديد وسؤال الهوية

هذه عتبة الفصل الثالث من كتابه ، والواضح أن عنوان هذا الفصل يتقاطع مع العنوان الشارح في ثلاث كلمات (آفاق التجديد وسؤال الهوية المعلقة) وبدلا من آفاق اختار كلمة مخاض ، فالآفاق توحي بالنظرة المستقبلية التي يُنظر إليها ، وإلى ما ستؤول إليه ، أما المخاض فيحمل دلالة البدء ، وهو علامة على أن مسألة التجديد قد بدأت تشق طريقها ، فما بعد المخاض إلا الولادة ، وكأن التطلعات القديمة قد آتت أكلها، وأنتجت ما كان يؤمل في إنتاجه ، وخطت خطوات إلى الأمام ، وهي ما أشار إليه من أنه بعد سقوط الحكومة الهاشمية في مكة ، ذهب زمن الحجب، والمنع ونشرت الكتب الثلاثة ، (المعرض) لمجموعة من الأدباء أصدره الصبان و (خواطر مصرحة) للعواد و (أدب الحجاز) لمحمد سرور الصبان[19] ، والتي كانت ممنوعة من النشر ، وهنا وبالعودة إلى العنوان يتبين لنا ما نتج عنه ذلك المخاض الذي كان يمر به الحجاز ، فكانت صحيفة صوت الحجاز هي المنبر الذي منحتهم إياه الدولة السعودية التي كانوا يدينون بالولاء لها بعد أن عانوا كثيرا قبلها، وتتضح

الهوية المعلقة التي أشار إليها في عتبته هذه إلى تلك الهوية التي يتنازعها خياران ، خيار القديم بأصالته وقيوده ، وخيار الحديث بأساليبه المتحررة من قيود القديم، ولحاقه بالحواضر الأخرى ، وهنا يتضح مدلول هذه الكلمة (الهوية المعلقة).

قلق المحافظة ورهاب الآخر

كعادته في إدراج عتباته التي تبدأ بأسماء توحي بالثبات حتى ولو كانت تحمل صفة الحركة ، فالقلق مؤشر لا يوحي بالثبات، وإنما بالاضطراب ، هنالك قلق من طرف ، ورهاب من طرف آخر ، فالمحافظة في مسماها الاعتباري فيها انزياح من المحافظين إلى المحافظة ذاتها ، ويقصد بالمحافظة ، الاتجاه المحافظ ، والمتحفظ من مسألة التجديد، أو الحداثة ، ويشير في هذا إلى موقف عبدالقدوس الأنصاري[20] الذي كتب مقدمة (التوأمان) بتحفظ شديد خشية الوقوع في دائرة الاتهام من المحافظين على أنه مجدد ، وهنا يُلمح السريحي إلى تناقض الانصاري ، الذي يقول عن نفسه إنه من رواد التحديث في الوقت الذي يقف في صف المحافظين، ويخشى سطوتهم ، وتأخذه الرهبة منهم ، ولعل هذا ما يشير إليه عنوان الفصل ، وفيه يستطرد السريحي ، ليحكي عن المضمر في تصريحات الأنصاري، وفي كتبه وما قال عن نفسه ، وما يراه السريحي غير دقيق في مختلف مواقف الأنصاري ، كما يشير إلى ما كان يتدارسه الأنصاري مع عبيد مدني[21] من كتب بسريّة تامة ، وفي هذا إشارة إلى ما يحمله العنوان من رهاب الآخر ، فالقراءة بسرية مؤشر خوف من الآخر، ويقصد بهم المحافظين من ذوي النفوذ، حتى لا يتهم الأنصاري، ومدني بأنهما حداثيين، ومن مظاهر القلق التي أشار إليها في العتبة هو ما كان يشير إليه الأنصاري من تميز عند أدباء المدينة خلافا لأدباء مكة وجدة، والطائف الذين يرى أنهم قد غووا بوقوعهم في براثن الأدب المهجري المتأثر بالتفكير الغربي، والأمريكي بينما لم يقع أدباء المدينة والذي يَعتبِر الأنصاري نفسه أحد منظريهم ، لم يقعوا كما وقع نظراؤهم من أدباء مكة وجده والطائف بل كانوا ملتزمين بالأدب العربي الأصيل.

وكأنما كان الأنصاري يعتبر أدباء مكة سائرين في الدرب الخطأ خلافا لأدباء المدينة إلا أنهم وحسب الأنصاري اكتشفوا خطأ توجههم فعادو بفطرتهم عن الخطأ إلى الصواب.

ويظهر بعض ملامح القلق في رواية (التوأمان) وما تضمنته من مواقف لا تكاد تنطبق على حالة الحجاز ، ثم يشير إلى مواقف الملك عبدالعزيز والتي تحمل انفراجة أزاحت ذلك القلق، والرهاب حينما أمر بإعطاء الفرص لأبناء الحجاز بالابتعاث لتوفير الكفاءات ، الأمر الذي دعا محمد حسن عواد وهو الحداثي الأقوى لتوجيه التحية باسم شباب الحجاز للملك عبدالعزيز آل سعود على ذلك الابتعاث ، لما له من مردودات تحديثية صحية ، مفرقا بين ما يكون من فساد الاحتكاك بالغرب، وبين ما يكون من تعلم اللغة ومعرفة سبل التقدم والحضارة النظيفة.

وهنا تتضح مقاصد السريحي من ذلك التركيب الذي أورده في العنوان الشارح لكتابه (آفاق التجديد) فهو ذلك الأفق المنظور الذي تطلع إليه عدد من الأدباء والنقاد في ذلك الوقت ، وهو الأفق الذي تحقق عندما أحكم الملك عبدالعزيز-رحمه الله - سيطرته على الحجاز ، ففتح آفاقا من التقدم والتطور والتحديث والنمو ، علميا

وفكريا وأدبيا وثقافيا ، وهو إشارة واضحة إلى سقوط ذلك الخطاب الرافض للتحديث، والتطوير بعد أن كان خطابا نافذا، ومهيمنا ، وعليه فإن لغة العتبة استمرت في السير على مدى صفحات هذا الكتاب في تقلبات الأزمنة والأمكنة ، وما صاحب ذلك من تجاذبات ، وما داخلها من مضمرات، وإيديولوجيات تكشفت عبر عدد من الدراسات الحفرية التي احتواها كتاب (إيديولوجيا الصحراء).

خاتمة

لم تكن الموضوعات التي جعلها السريحي ميدانا لدراساته مما يثير فضول الباحثين أو القراء، فهي في غالبها غير مثيرة للجدل ، لكنه بحسه توقف عندها وجعلها في موضع يمكن وصفه بالمثير للجدل ، ومن الواضح أن السريحي قد ركز اهتمامه على ما تنطوي عليه من خطابات غير معلنه ، مع وجود ما يربط كل خطاب بسلطة ما ، وإن لم تكن معلنة بشكل جلي فكان لذلك الحفر الدقيق بين ثنايا تلك الموضوعات ينبئ عن ظواهر مختبئة تحمل أشكالا مختلفة بحسب موضوعاتها ، وعلى الرغم من أنها ثقافية في الأساس لكنها قد تحمل في داخلها نزعة دينية، أو سياسية، أو فكرية ، ولا يمكن للشخص العادي أن يدركها مالم يلتقطها إحساس ناقد ماهر يقف عندها وقفة متأملة ليكشف ما تنطوي عليه من متلازمات تتعلق برغبة ما، أو سلطة ما.

حاول السريحي التغلغل في أعماق النصوص التي اختارها لتحليل حالات ثقافية معينة بجميع أشكالها المركبة، والمعقدة مستحضرا سياقات معينه منها اجتماعية، وأدبية، ودينية، وسياسية، يمكن القول إن دراسة السريحي للخطاب كان من باب التوضيح العام لما تحرزه بعض الخطابات من قوة وهيمنة تمنع الخطابات الأقل فاعلية من الظهور، وهي إشارة عامة يمكن تطبيقها على كل الخطابات بمختلف توجهاتها.

تجلت في دراسات السريحي بعض أشكال الهيمنة الثقافية، والدينية، كما في (غواية الاسم) و (حجاب العادة) أو الإيديولوجية كما في كتاب (إيديولوجيا الصحراء)

مارس السريحي قطيعة معرفية في دراسته للخطاب خصوصا في (حجاب العادة) و(مالم يقله الشاهد) وطبق آلية الأركيولوجيا بشكل أكبر في (إيديولوجيا الصحراء).

استحضر السريحي السياقات التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، في تأويله لتلك الخطابات المدروسة، حيث تعتبر تلك السياقات أساسا في اعتمادها خطابا لا نصا، والنص جزء من تحليل الخطاب، وبتجاوز النص إلى سياقاته التاريخية، أو الاجتماعية، أو السياسية بكل ما يندرج تحتها؛ فذلك يشكل عملية تحليل الخطاب.

. هوامش البحث:

(*1*) مفتاح ، محمد ، ديناميكية النص ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1990م ، ص 72.

(*2*) حمداوي ، جميل ، شعرية النص الموازي ، عتبات النص الأدبي ، شبكة الألوكة ، ط2، 2016م ، ص 4

(*3*) المفرح ، حصة بنت زيد ، عتبات النص الروائي في الجزيرة العربية ، كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية ، جامعة اليمامة، ط2 ، الرياض ، 1433هـ 2022م ، ص 33.

(*4*)حمداوي ، جميل ، شعرية النص الموازي ص55

(*5*)كل ما ورد محيطا بالكتاب من الغلاف، والمؤلف، والعنوان، والإهداء، والمقتبسات، والمقدمات، والهوامش وغيرها.

(*6*) حجاب العادة ، ص 91

(*7*)حجاب العادة ، ص 97

(*8*)حجاب العادة ، ص 119

(*9*) وإنا لنجفو الضيف من غير عسرة مخافة أن يضرى بنا فيعود

(*10*)غ وى: (الْغَيُّ) الضَّلَالُ وَالْخَيْبَةُ أَيْضًا. وَقَدْ (غَوَى) يَغْوِي بِالْكَسْرِ (غَيًّا) وَ (غَوَايَةً) أَيْضًا بِالْفَتْحِ فَهُوَ (غَاوٍ) وَ (غَوٍ) وَ (أَغْوَاهُ) غَيْرُهُ فَهُوَ (غَوِيٌّ) عَلَى فَعِيلٍ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَلَا يُقَالُ: غَيْرُهُ. وَ (الْغَوْغَاءُ) مِنَ النَّاسِ الْكَثِيرُ الْمُخْتَلِطُونَ 0 أنظر مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص 231 الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

(*11*) السريحي ، غواية الاسم ، ص 9، 10

(*12*) السريحي ، غواية الاسم ، ص 97 ، نقلا عن كتاب ، عمدة الصفوة في حل القهوة ، للجزيري ص 96

(*13*)السريحي ، غواية الاسم ، ص 102 ، نقلا عن كتاب ، عمدة الصفوة في حل القهوة ، للجزيري ص 103

(*14*) ويكيبيديا ، مادة قشر (قهوة)

(*15*) البخاري ، صحيح البخاري ، 3: 1269

(*16*)محمد حسن قاسم عوّاد، أديب ومفكر من الحجاز، من رواد النهضة الأدبية والفكرية في السعودية، من مواليد مدينة جدة كان مدرساً في مدرسة الفلاح، وقد تتلمذ على يده عدد من الأدباء منهم أحمد قنديل و محمود عارف، ومحمد علي مغربي، و يعتبر مع خصمه الشاعر حمزة شحاتة رائدا الشعر الحداثي في السعودية. ويكيبيديا

(*17*) السريحي ، إيديولوجيا الصحراء ، ص 38

(*18*)السريحي ، إيديولوجيا الصحراء ، ص 43

(*19*)محمد بن سرور الصبان (1316 هـ / 1898م - 1972م)، رائد الأدباء والمثقفين في مكة المكرمة منذ حكم الهاشميين، أصدر أول كتاب سعودي في العصر الحديث بعنوان (أدب الحجاز)، وهو مؤسس (المكتبة الحجازية) أول مكتبة لبيع الكتب في مكة. توفي في عام 1972 في مدينة القاهرة. ويكيبيديا

(*20*)عبد القدوس الأنصاري، هو عبد القدوس بن القاسم بن محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي، الأستاذ الأديب والصحفي المخضرم، العالم المحقق المدقق، والأثري المؤرخ، واللغوي المجمعي، مؤسس مجلة المنهل، ويعتبر الأديب عبد القدوس الأنصاري أحد أبرز رواد الرواية السعودية وكانت روايته التوأمان الصادرة عام 1349 هـ أول عمل روائي يصدر في المملكة ... ويكيبيديا.

(*21*) عبيد بن عبد الله بن حمزة بن محمد بن محمد المدني، يعتبر من أبرز رجالات الدولة وشعرائها ومؤرخيها المعاصرين في المملكة العربية ولد بالمدينة المنورة عام 1324هـ/1906م وتوفي في القاهرة عام 1396هـ/1976م ويكيبيديا**الناشر**